تمرين: أثبت أنّ الفنّ يمكن أن ينهض بوظيفة توثيقيّة.

الإصلاح: الفنّ مهما كان نوعه يوثّق الأحداث الجليلة والشخصيّات العظيمة وحتى أفكار القوم ومبادئهم ورؤيتهم للموجودات حولهم ومثالنا على ذلك لوحة "الجوكندا " لليوناردو دي فنشي فقد كان منطلقها شخصيّة واقعيّة ثمّ أصبحت رمزا للجمال الأنثويّ كما يراه الناس في ذلك العصر وقد برع الكثير من الفنانين في رسم البورتريه و الأماكن فظلّت لوحاتهم شاهدا عليها كما يتّفق الجميع حول دور السينما من خلال الأفلام التاريخيّة والوثائقيّة في تسجيل الماضي بأعلامه وأحداثه فالأفلام عمر المختار أو الرسالة أو ناجي العليّ أو لينكولن إنّما توثّق فترات هامّة في تاريخ الأمم وتعرّف بأبطالها وتجمل أحداثها الكبرى،إضافة إلى ذلك تطلعنا الكتب الأدبيّة بمختلف أجناسها على وقائع الماضي والحاضر وتصوّر أحوال الناس وأساليب عيشهم والشواهد على ذلك كثيرة فهذه كتب الجاحظ وأبي الفرج الأصفهانيّ متى قرأتها تعرّفت إلى أعلام المجتمع العربيّ القديم وأحواله وما مرّ عليه من أحداث أمّا متى قرأت روايات حنّا مينة ونجيب محفوظ أو قصص علي الدوعاجيّ فستتعمّق معرفتك بقضايا المجتمعات المعاصرة وإذا طالعت السير الذاتيّة على غرار الأيام لطه حسين أو سبعون لميخائيل نعيمة اكتشفت حياة المشاهير، ومن شأن لوحة راقصة كذلك أن تبرز عادات شعب ما وأفكاره وتقاليده فهذه فرقة إنانا السوريّة مثلا تستلهم رقصاتها من التاريخ العربيّ الإسلاميّ وما كنا نعلم بازدهار الحضارة الرومانيّة والفرعونيّة لو لم يبدع فنّانوها في بناء القصور والمسارح والمعابد وإحكام الزخرفة والتزويق على جدرانها ،تلك النقوش حفظت معالم حياتهم وصوّرت نمط عيشهم فبقيت شاهدا عليهم لذلك تعتبر الفنون عنصرا محدّدا لهويّة الشعوب وقيمها وهو ما أشار إليه رئيس جمهوريّة ألمانيا يوهانس راو في قوله :"لا يجوز النظر إلى الأفلام والكتب والموسيقى على أنّها مجرّد سلع تجاريّة .إنّها قيم ثقافيّة قبل ذلك." وهي في نفس الوقت محرار يقاس به مدى تطوّر مجتمع ما وقد عبّر عن ذلك معروف الرصافيّ فأنشد:

أرقى الشعوب حضارة وتمدّنا * من كان منهم للفنون عريقا

وأحطّهم من إن سمعت غناءهم * فمن الضفادع قد سمعت نقيقا

إذن بفضل الفنّ لن تذهب أعاصير الفناء بما حققته اليد البشريّة.

الظواهر السلبيّة الدخيلة على الفنون

*أوّلها:انعدام تلك الرابطة بين العمل الفنّي والواقع المعيش إذ يلزم الفنان برجه العاجيّ ثمّ يتحف العالم بأعمال نخبويّة لا صلة لها بهموم المجتمع وقضايا الإنسانيّة في حين يجب على الفنان الحقيقي أن يحسن انتقاء مواضيع أعماله حتى تكون جزءا من عمليّة الإصلاح.

*ثانيها: اتّجاه بعض الرسامين المنضوين ضمن بعض المدارس الفنّية كالدادائيّة والسرياليّة إلى الغموض والإبهام إذ ذهب أتباعهما إلى أنّ الواقع مزيّف كلّ الزيف وأعلنوا تمرّدهم عليه ليغرقوا في الحلم واللاشعور والعبثيّة والفوضويّة ولا أدلّ على ذلك من قصيدة تريستان تزار مؤسّس الدادائيّة بعنوان كيف تصنع قصيدة دادائيّة فحينما نقرأها لا يمكن لنا إلا أن نتساءل :أين الإبداع؟ وأنّى لنا برسالة سامية تكون عنوان رقيّ العمل الفنّي؟ تلك الهلوسات حطّمت مقوّمات الفنّ الأساسيّة وأهمّها المعنى والجماليّة وحرمت الإنسان من الاستمتاع به لذلك لم تعمّر طويلا.

*ثالثها: الاعتماد الكامل على الوسائل الرقميّة في إنشاء الأعمال الفنيّة سواء كانت لوحات أو أفلاما فاستحالت إلى أوهام وخيالات وفقدت كلّ خصوصيّة حضاريّة نابعة من ذات المبدع وثقافته مثلما لم نعد نحسّ فيها بروح الإنسان ومشاعره ولم تعد دليلا على موهبة أو تميّز بل ما عاد الأمر يتطلّب سوى معرفة بإمكانات التكنولوجيا الحديثة ليتحوّل الفرد بضغطة زرّ إلى فنّان.

*رابعها : تدنّي مستوى أدعياء الفنّ فلم نعد نجد في الساحة الفنيّة من يملك خيالا واسعا ويبذل قصارى جهده ويبدع ويبرع فيحقّق الدهشة والحيرة والمتعة واكتفوا إمّا بسرقة أعمال أسلافهم أو التهريج بحثا عن أقصر طريق نحو الشهرة.

نص حجاجيّ قائم على الدحض

ينكر بعضهم فضل الفنّ ويجعله من الكماليات التي لا دور لها سوى تمضية أوقات الفراغ .ادحض هذا الرأي بحجج مناسبة.

الإصلاح: يزعم البعض ألّا قيمة للفنّ في حياتنا المعاصرة وألاّ دور له سوى تمضية أوقات الفراغ،وهذا لعمري وهم زائل وقول باطل ذلك أنّ للفنّ الأصيل قيمة كبرى في حياة الفرد إذ لولاه لاختفى كلّ شيء جميل حولنا ولكانت أصوات البوم والغربان كأصوات البلبل والكروان ولو جرّدنا الإنسان من كلّ ما له علاقة بالذوق والجمال والإحساس لفقد معنى الحياة فالفنّ يصقل الذوق ويغذّي النفس ويفسح في الرأي وينمّي الذهن ويوسّع الخيال ويمنح الإنسان الحريّة والسعادة القصوى و قد يتّخذ الفنّان من شرور العالم مواضيع لفنّه لنقدها وفي هذا النقد إقناع بضرورة تجنّبها ومهما اختلفت الطرائق التي يسلكها الفنّانون فالغاية واحدة وهي نشدان الحقيقة والخير والجمال وبذلك يسمو الفنّ بالأخلاق والنفوس ويغرس فينا القيم النبيلة ويكسبنا القدرة على النقد والحكم والتقييم ويحرّك فينا عاطفة الجمال السامية ومتى أدرك الفرد هذه العاطفة تنزّه عن الشرّ ،إذن الفنّ هو الجمال والجمال هو الخير أفلا يمكن حينها أن نعتبر الفنّ دافعا للقيام بالأعمال الخيّرة ؟ وبذلك نتفهّم الأسباب التي جعلت الإغريق يؤلّهون الفنون ونقصد بذلك أبولون إله الفنّ وجعلوا له معابد وطقوسا .فلا شكّ إذن في أنّ الفنون هي السبيل الأمثل لتحقيق المتعة والتوعية والتثقيف وإحياء الماضي وتحقيق الأصالة وربط المتقبّل بجذوره وهويّته وبناء مستقبل أفضل، بدونها تعمّ الفوضى ويضيق الأفق وتقلّ الخبرة ويسقم الوجدان وتكون الحياة مدعاة للتخلّف .أمّا بالنسبة إلى قيمة الفنّ على مستوى الشعوب فاعلم، وفّقك الله إلى سديد الرأي، أنّ الفنون مهما كان نوعها جسور للتواصل والتفاعل والتثاقف بين الأمم ومتى ارتقى الفرد ارتقى المجتمع أي أنّه سيسود النظام وينتشر العدل ويشيع الجمال في جوانب الحياة العامّة وتقوّم الأوضاع غير المتناسقة وتبتكر الأفكار المتجدّدة وهي المسؤولة عن توازن المجتمع وبثّ الطمأنينة فيه والفنّ دون شكّ يكسب الوعي بالقضايا الاجتماعيّة والإنسانيّة لذلك إن جرّدنا الأمم من فنونها ومظاهر الجمال فيها صارت بدائيّة متوحّشة وبذلك نتفهّم قول بيار دريو روشال:"الفنّ هو الفرصة الوحيدة لتنظيم الحياة"فشعب دون فنّ كجسد دون روح ويمكننا إذا لم نبالغ في القول أن نعتبر الفنّ منبع كلّ حضارة فمتى سينتبه الأفراد والهيئات إلى قيمة الفنون؟ ومتى يعملون لصالح نهضتها؟

الظواهر السلبية الدخيلة على فن الموسيقى

غاب اليوم الوجه الحقيقيّ الأصيل لهذا الفنّ في ظلّ وجود التقنيات الحديثة وغياب الرقابة وأضحت مجرّد وسيلة للتسلية وإثارة الشهوات فبفضل المؤثّرات التي تستعمل ،خدع الإنسان بالمظاهر حتى بات يعتقد أنّ هذا هو الفنّ الحقيقيّ .كان كلّ من عرفنا من المبدعين في الموسيقى صنع البيئة التي نشؤوا فيها فأمثال محمّد عبد الوهّاب ووديع الصّافي وأمّ كلثوم وفيروز وغيرهم كانوا دائما محاطين بشعراء وموسيقيين بارعين وجمهور ذوّاق للكلمة واللّحن وهو ما يدفع الفنّان إلى الإبداع والإنتاج أمّا اليوم فنجد أنّ عالم الفنّ يزخر بالمطربين الذين يخرّبون أذاننا ويؤذون أغاني مفرغة من كلّ محتوى سعيا وراء النجوميّة والثراء ولم تعد الموسيقى بالنسبة إليهم إلّا تجارة تروّج من خلال التعبير عن حبّ شهوانيّ مبتذل. إنّ ما طرأ على الموسيقى العربيّة وأغانيها من تهجين وخلط جعل طابعها بلا هويّة وبدت إثارة الغرائز من أبرز سماتها فباتت خالية من صدق التعبير ونبل الغاية فالفنانون اليوم يركّزون على الإنتاج حتى يحقّقوا أرباحا طائلة ولا يهمّهم نوعيّة تلك الأغاني التي ينتجونها سواء كانت رديئة أو جيّدة ،تتماشى مع البيئة التي يعيشون فيها أم لا فهمّهم الوحيد من وراء تسويق تلك الأغاني هو جمع المال ممّا أدّى إلى تخريب الذوق الفنّي لدى المتقبّل.

إنّ التطوّر العلميّ أمر جيّد لكنّ استغلاله بالطريقة التي نراها اليوم في الفيديو كليب يهمّش ثقافة الشباب تهميشا كبيرا فقد طغى على الكلمة واللحن والأداء فكلّ مطرب يأتي بمخرج وفتيات عاريات يتراقصن خلفه على إيقاعات سريعة وهو ما يستفزّ مشاعر غالبيّة المشاهدين ولا يتّفق مع قيمنا ومبادئنا .إنّ الغناء بالجسد يخلو من أي قيمة فنّية وأخلاقيّة ، إنّه تقويض لقيم المجتمع ودفع بشبابنا إلى الانحراف السلوكيّ .

من أبرز المشاكل التي تتعرّض إليها الموسيقى المعاصرة كذلك التقليد إذ يقوم بعض أدعياء الفن بسرقة ألحان غيرهم ثمّ يقدّمونها للجمهور على أنّها ملكهم ومن مجهوداتهم الخاصّة لذلك نلاحظ تشابه الألحان وحتى الكلمات كما أدّى التطوّر التقنيّ إلى اختراع أجهزة الكترونيّة تسجّل كلّ ما هو صوت ثمّ تذيعه بمجرّد ضغطة زرّ لتنوب الفنّان في العزف والغناء فما على العازف إلّا تحريك أصابعه متظاهرا ببراعته وما على المغنّي إلّا تحريك فمه مدّعيًا موهبته لينالا شهائد تقدير على كفاءة ومجهود لم يبذلاه.

أضف إلى ذلك إنّ الموسيقى التي كانت وسيلة لتهدئة النفس والشعور بالاسترخاء أصبحت في كثير من الأحيان مجرّد صخب وضجيج ينفر منه الفرد باعتباره مصدرا للتوتّر.

إنّ الجمهور يتحمّل مسؤوليّة رواج هذا الفنّ لأنّ الإقبال عليه يخدم مصالح مروّجيه والإنسان الواعي بنبل رسالة الفنّ وبواجب حمايته من هذه المظاهر المتدنيّة يقاطعه ولا يقبل عليه.

تمرين:أثبت في فقرة حجاجيه ان الفن ينهض بوظيفة توعويّة.

الإصلاح:

الفن سلاح المظلومين والمقهورين للنضال ،هو أقوى من الرصاص يخترق المستعمرين والطغاة فينال منهم ويحطّم معنويّاتهم في كلّ زمان ومكان ،الفنّ أحدّ من السيف وأنفذ من السهام ولا أدلّ على ذلك من قصائد محمود درويش وروايات غسّان كنفاني التي فضحت مظاهر التعذيب والتقتيل التي يمارسها الاحتلال الصهيونيّ تجاه الشعب الفلسطينيّ ولو قرأت رواية "أرض البرتقال الحزين" لاكتشفت ملحمة الشعب الفلسطينيّ كذلك يمكن للريشة والألوان أن تتحوّل إلى أسلحة مقاومة والشاهد على ما نقول الرسوم الكاريكاتوريّة للرسام الفلسطيني ناجي العليّ فقد سخرت من المحتلّ وفضحت ممارساته ويبرز قوّة هذا السلاح أنّ الكثير من الفنانين ومن بينهم ناجي العلي وغسان كنفاني قد دفعوا حياتهم ثمنا لفنّهم ولذلك قال كوكتو :الفنّ في شعب ثائر هو ثورته" كما يتّخذ الفنان فنّه وسيلة للتوعية بقضايا إنسانيّة كبرى كالتسامح و المساواة والتضامن والحب والسلم ومثالنا على ذلك بابلو بيكاسو الذي اتّخذ من الرسم وسيلة ليحبّب الناس في السلم من خلال لوحته "حمامة السلام" ولينفّرهم من الحرب بتصوير بشاعتها في لوحته "قارنيكا" ولا تنس أنّ موسيقى الجاز كانت سلاح السود للنضال ضدّ الميز العنصريّ أضف إلى ذلك تلعب السينما والمسرح دورا هامّا في فتح عيون المشاهد ليرى في الصورة المرئيّة واقعه وحقيقته إذ رفعا النقاب عن قضايانا ومساوئ الواقع و أبدعا في تصوير مشاكل المجتمعات المعاصرة بمختلف مجالاتها السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة وغيرها فاستخدما للتوجيه والإرشاد والتنوير الثقافيّ ناهيك أنّهما يحفّزان القدرات الكامنة لدى المواطن فالسينما مثلا تعطي المشاهد القدرة على التحرّك من مكان إلى آخر عن طريق ما يبصره ومقارنته بما هو عليه ،الأمر الذي يثير فيه الرغبة في تحسين مستواه الاجتماعيّ والماديّ والاطلاع على طرق حياة أخرى مختلفة.وهو ما دفع بالمفكّر المصري زكريّا إبراهيم إلى التصريح :" ليس الفنّ مجرّد لغة تعبير بل هو أيضا أداة تحرير وتغيير" وهو ما يدعمه مالوي في قوله :"قوّة الفنّ تكمن في دفعنا إلى تحطيم ما لا يمكن تحطيمه " . إنّ التوعية هي السبيل إلى الإصلاح والعيش الأحسن إذن لا غنى لنا عن الفنّ.

تمرين: أثبت أنّ الفنون وسيلة الفرد للتعبير والتنفيس عمّا يجول في نفسه.

الإصلاح: لا شكّ في أنّ الفنون وسيلة الفرد للتعبير عن مشاعره ومواقفه وآرائه ومطامحه وكلّ ما يعجز عن التعبير عنه بواسطة اللغة وهي سبيله لإفراغ ما هو مكبوت في أعماق نفسه و تفجير ما في باطنه من انفعالات فهي التي تحرّره من بركان أحاسيسه وتنسيه همومه وتجعله في حالة انطلاق قصوى مثلما تشعره بأنّه كائن حرّ مليء بالمشاعر النّابضة .بالفنّ يتخلّص الفرد من قيود الواقع ويمنحه حريّة وقدرة على إبراز طاقاته ومواهبه ويهبه شعورا بالفاعليّة والسعادة والامتلاء والاسترخاء ويزيل عنه الكلل والملل وينقذه من الرتابة ، كلّ ذلك يحقّق التوازن النفسيّ عند الإنسان فيخفّف عنه الضغوط والأعباء وتستردّ النفس هدوءها وسكينتها فالفنّ كالمصباح يطرد الظلمة من النفس أو هو غذاء الروح يمنحها قوّة وحياة متجدّدة ويؤكّد ذلك قول الشاعر الفرنسيّ لامارتين " رؤية الشيء الجميل تبعث في النفس الرجاء" والفنّ هو مجال إبداع الجمال والاستمتاع به وتذوّق الحرية والتلذّذ بها وكما يقول أندري سوريس "الفن هو مجال الحريّة الفريد" فالرسّام مثلا عندما يمسك بفرشاته فكأنّه قد امتلك العالم وأمسك بزمام الكون فالألوان هي ألوان ذاته والأشكال هي تموّجات روحه والأجسام هي معاني بعيدة المنال يرمي الفنان من خلالها إلى التعبير عن ذاته ومخاطبة النفوس المرهفة فالرسّام قد ينطلق من الواقع لكنّه يتجاوزه ليؤسّس مشهدا جديدا يقدّم الواقع في إطار رؤيته الخاصّة أمّا الشعر فهو بلسم للنفوس الحزينة يعبّر عن الشاعر بقدر ما يعبّر عن اختلاجات الإنسان عامّة كذلك الموسيقى تعبير عن الوجدان وملامسة لأعماق المستمعين ولذلك اعتبرها جبران خليل جبران "لغة ليست ككلّ اللغات" هي " لغة النفوس والألحان نسيمات لطيفة تهزّ أوتار العواطف هي أنامل رقيقة تطرق باب المشاعر وتنبّه الذاكرة" إنّها لا تؤمن بالعراقيل والحدود من خلالها تشعر بأفراح الآخر وأتراحه وتتعاطف معها إذا عبّر عنها باللحن والكلمة ولا ننسى المسرح والسينما فهما أيضا وسيلة لإشباع الرغبات الوجدانيّة والفكريّة .الفنّ إذن تصوير وتعبير تصوير لهذه الحياة التي ترنو إليك ضاحكة لاهية سعيدة حزينة وهو تعبير عن هذه الأحاسيس بأسلوب جميل تارة يكون كالعاصفة الهوجاء وطورا وديعا كالقمر وإذا قدّم للمتقبّلين علموا أنّ هذا التعبير صادق لأنّه فلذة من قلب الفنان وروحه لذلك خاطب الشاعر الكمنجة قائلا:

يا ابنة الألحان ما أنت سوى *صوت روحي وصدى قلبي الطموح

مرحبا بكم على منصة مراجعة

موقع مراجعة
mourajaa.com

موقع مراجعة سنوات الاعدادي

COLLEGE.MOURAJAA.COM

أخبار التعليم في تونس

NEWS.MOURAJAA.COM